

تركها؟ وأما الذي يجعلها فيخرج ذهب ذلك بها ، قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج في السبيل إذا أنا برجل يمتح على قلب كلما أخرج دلوه صبه في الحوض فانساب الماء راجعا إلى القلب قال هذا رجل رد الله عليه صالح عمله فلم يقبله قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج في السبيل إذا أنا برجل يندر بندرا فيستحصد فاذا حنطة طيبة قال هذا رجل قبل الله صالح عمله وأزكاه له . قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج في السبيل إذا أنا برجل مستلق على قفاه قال يا عبد الله: ادن مني فخذ يدي وأقمدي فوالله ما قدمت منذ خلقتني الله تعالى فأخذت يده فقام يسعى حتى ما أراه فقال له الفتي هذا عمر الأبعد نقد ، أنا ملك الموت وأنا المرأة التي أتتكم الله تعالى بقبض روح الأبد في هذا المكان ثم أصره إلى نار جهنم قال ففيه نزلت هذه الآية (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) الآية هذا أثر غريب وفي صحته نظر ، وتنزيل الآية عليه وفي حقه بمعنى أن الكفار كلهم يتوفون وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا كما جرى لهذا المفقون ذهب يطلب مراده فجاءه ملك الموت فجأة بغتة وحيل بينه وبين ما يشتهي . وقوله تعالى (كما فعل بأشياهم من قبل) أي كما جرى للأمم الماضية المكذبة بالرسل لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلقت في عباده وخسر هنالك الكافرون) . وقوله تبارك وتعالى (إنهم كانوا في شك مريب) أي كانوا في الدنيا في شك وريبة فلماذا لم يقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب : قال قتادة إياكم والشك والريبة فان من مات على شك بعث عليه ، ومن مات على يقين بعث عليه . آخر تفسير سورة سبأ والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

(تفسير سورة فاطر وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(اَلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

قال سفيان الثوري عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما لصاحبه أنا فطرتها أي بدأتها وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضا (فاطر السموات والأرض) أي بديع السموات والأرض ، وقال الضحاك كل شيء في القرآن فاطر السموات والأرض فهو خالق السموات والأرض . وقوله تعالى (جاعل الملائكة رسلا) أي بينه وبين أنبيائه (أولى أجنحة) أي يطيرون بها ليلتفوا ما أمروا به سريعا (مثنى وثلاث ورباع) أي منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة ومنهم من له أكثر من ذلك كما جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء وله ستائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب ولهذا قال جل وعلا (يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) قال السدي يزيد في الأجنحة وخلقهم ما يشاء وقال الزهري وابن جريج في قوله تعالى (يزيد في الخلق ما يشاء) يعني حسن الصوت رواه عن الزهري البخاري في الأدب وابن أبي حاتم في تفسيره وقرئ في الشاذ (يزيد في الخلق) بالحاء المهملة والله أعلم .

(مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَدْنِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

يخبر تعالى أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع . قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا مغيرة أخبرنا عامر عن وراذ مولى للغيرة بن شعبة قال إن معاوية كتب إلى المغيرة بن شعبة اكتب لي بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني المغيرة فكتبت إليه إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا انصرف من الصلاة « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد

وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » ومسمته ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال . وعن وأد البنات ، وعقوق الأمهات ، ومنع وهات . وأخرجاه من طرق عن وراذ به وثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال إن رسول الله ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول « مع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السماء والأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد ، اللهم أهل الشئ والمجد ، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد . اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » وهذه الآية كقوله تبارك وتعالى (وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) ولها نظائر كثيرة . وقال الإمام مالك رحمه الله عليه كان أبو هريرة رضى الله عنه إذا مطروا يقول مطرنا بنوء الفتح ثم يقرأ هذه الآية (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) ورواه ابن أبي حاتم عن يونس عن ابن وهب عنه

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾

فيه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في افراد العبادة له كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك ليفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان ولهذا قال تعالى (لا إله إلا هو فأنى تؤفكون) أى فكيف تؤفكون بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان ، وأتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان والله أعلم

﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

يقول تبارك وتعالى وإن يكذبوك يا محمد هؤلاء المشركون بالله ويخالفوك فيما جئتم به من التوحيد فلك فيمن سلف قبلك من الرسل أسوة فانهم كذلك جاءوا قومهم بالبينات وأمروهم بالتوحيد فكذبوهم وخالفوهم (وإلى الله ترجع الأمور) أى وسنجزئهم على ذلك أوفر الجزاء . ثم قال تعالى (يا أيها الناس إن وعد الله حق) أى المعاد كائن لا محالة (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) أى العيشة الدنيئة بالنسبة إلى ما أعد الله لأولياته وأتباع رسله من الخير العظيم فلاتلهوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية (ولا يغرنكم بالله الغرور) وهو الشيطان قاله ابن عباس رضى الله عنهما أى لا يفتنكم الشيطان ويصرفكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته فانه غرار كذاب أفك ، وهذه الآية كآية التى فى آخر لقمان فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) وقال مالك عن زيد بن أسلم هو الشيطان كما قال المؤمنون للمناققين يوم القيامة حين يضرب (بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور) ثم بين تعالى عداوة إبليس لابن آدم فقال (إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدوًّا) أى هو مبارز لكم بالعداوة فعدوه أتم أشد العداوة وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) أى إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير فهذا هو العدو اللبئى نسأل الله القوى العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان وأن يرزقنا اتباع كتابه ، والاقتضاء بطريق رسوله إنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ، وهذه كقوله تعالى (وإذ قلنا لللائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه فأتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا)

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

لما ذكر تعالى أن أتباع إبليس مصيرهم إلى السعير ذكر بعد ذلك أن الذين كفروا لهم عذاب شديد لأنهم أطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن وأن الذين آمنوا بالله ورسله (وعملوا الصالحات لهم مغفرة) أى لما كان منهم من ذنب (وأجر كبير) على ما عملوه من خير ثم قال تعالى (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) يعنى كالكفار والفجار يعملون أعمالا سيئة وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعا أى أفمن كان هكذا قد أضله الله ألك فيه حيلة ، لا حيلة لك فيه (فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) أى بقدره كان ذلك (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) أى لا تأسف على ذلك فان الله حكيم في قدره إنما يضل من يضل ويهدي من يهدي لما له في ذلك من الحجة البالغة والعلم التام ولهذا قال تعالى (إن الله عليم بما يصنعون) . وقال ابن أبى حاتم عند هذه الآية حدثنا أبى حدثنا محمد بن عوف الحمصى حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى أو ربيعة عن عبد الله بن الديلمى قال أنبت عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما وهو فى حائط بالطائف يقال له الوهط قال سمعت رسول الله ﷺ يقول الله « إن الله تعالى خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ فقد اهتدى ومن أخطأ منه ضل فلذلك أقول جف القلم على ما علم الله عز وجل » ثم قال حدثنا محمد بن عبدة القزوينى حدثنا حسان بن حسان البصرى حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشى عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبى أوفى رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « الحمد لله الذى يهدى من الضلالة ويلبس الضلالة على من أحب » وهذا أيضا حديث غريب جداً

﴿ وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ * مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

كثيرا ما يستدل تعالى على العاد باحيائه الأرض بعد موتها كما فى أول سورة الحج ينبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك فان الأرض تكون ميتة هامة لا نبات فيها فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها (اهترت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) كذلك الأجساد إذا أراد الله تعالى بعثها ونشورها أنزل من تحت العرش مطرا يعم الأرض جميعا وينبت الأجساد فى قبورها كما تنبت الحبة فى الأرض ولهذا جاء فى الصحيح « كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب ، منه خلق ومنه يركب » ولهذا قال تعالى (كذلك النشور) وتقدم فى الحج حديث أبى رزين قلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى ؟ وما آية ذلك فى خلقه . قال صلى الله عليه وسلم « يا أبأ رزين أما مرت بوادى قومك محلا ثم مررت به يهتز خضرا » قلت بلى ، قال صلى الله عليه وسلم « فكذلك يحيى الله الموتى »

وقوله تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) أى من كان يجب أن يكون عزيزا فى الدنيا والآخرة فليعلم طاعة الله تعالى فإنه يحصل له مقصوده لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة وله العزة جميعا كما قال تعالى (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا) وقال عز وجل (ولا يحزنك قولهم ، إن العزة لله جميعا) وقال جل جلاله (والله العزة لرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) قال مجاهد (من كان يريد العزة) بعبادة الأوثان (فإن العزة لله جميعا) وقال قتادة (من كان يريد العزة فإن العزة لله جميعا) أى فليتعزز بطاعة الله عز وجل وقيل من كان يريد علم العزة لمن هو (فإن العزة لله جميعا) وحكاها ابن جرير . وقوله تبارك وتعالى (إليه يصعد الكلم الطيب) يعنى الذكر والتلاوة والدعاء ؛ قاله غير واحد من السلف ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي أخبرني جعفر بن عون عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي عن عبد الله بن المخارق عن أبيه المخارق بن سليم قال : قال لنا عبد الله هو ابن مسعود رضى عنه إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله تعالى إن العبد المسلم إذا قال سبحان الله وبمحمد والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تبارك الله أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن إلى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لتأملهن حتى يحيى بهن وجه الله عز وجل ثم قرأ عبد الله رضى الله عنه (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وحدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا سعيد بن الجريري عن عبد الله بن شقيق قال : قال كعب الأحبار إن لسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله أكبر لدويا حول العرش كدوى النحل يذكرون لصاحبين والعمل الصالح فى الخزانين وهذا إسناد صحيح إلى كعب الأحبار رحمة الله عليه ، وقد روى مرفوعا . قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا موسى بن يعقوب الطحان عن عون بن عبد الله عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « الذين يذكرون الله من جلال الله من تسيبته وتكبيره وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لمن دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبين ألا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الله شيء يذكرك به » وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بشر بكر بن خلف عن يحيى بن سعيد القطان عن موسى بن مسلم الطحان عن عون بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير رضى الله عنه به . وقوله تعالى (والعمل الصالح يرفعه) قال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما الكلم الطيب ذكر الله تعالى يصعد به إلى الله عز وجل والعمل الصالح أداء الفريضة فمن ذكر الله تعالى فى أداء فرائضه حمل عمله ذكر الله تعالى يصعد به إلى الله عز وجل ومن ذكر الله تعالى ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان أولى به وكذا قال مجاهد : العمل الصالح يرفع الكلام الطيب وكذا قال أبو العالية وعكرمة وإبراهيم النخعي والضحاك والسدي والريبع بن أنس وشهر بن حوشب وغير واحد وقال إياس بن معاوية القاضى لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام وقال الحسن وقتادة لا يقبل قول إلا بعمل

وقوله تعالى (والذين يمكرون السيئات) قال مجاهد وسعيد بن جبير وشهر بن حوشب هم الرءاؤون بأعمالهم يعنى يمكرون بالناس يوهمون أنهم فى طاعة الله تعالى وهم بغضاء إلى الله عز وجل يرءاؤون بأعمالهم (ولا يذكرون الله إلا قليلا) وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم المشركون ، والصحيح أنها عامة والمشركون داخلون بطريق الأولى ولهذا قال تعالى (لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) أى يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولى الصائر والنهى فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه وما أسر أحد سريرة إلا لإكسائه الله تعالى رءاءها إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، فالمرأى لا يروج أمره ويستمر إلا على غيب ، أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم بل ينكشف لهم عن قريب وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية . وقوله تبارك وتعالى (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة) أى ابتداء خلق أبيكم آدم من تراب ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (ثم جعلكم أزواجا) أى ذكر وأثنى لطفنا منه ورحمة أن جعل لكم أزواجا من جنسكم لتسكنوا إليها وقوله عز وجل (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) أى هو عالم بذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء بل (ما تسقط من ورقه إلا

يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) وقد تقدم الكلام على قوله تعالى (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) وقوله عز وجل (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) أي ما يعطى بعض النطف من العمر الطويل يملئه وهو عنده في الكتاب الأول (وما ينقص من عمره) الضمير عائد على الجنس لا على العين لأن الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله تعالى لا ينقص من عمره وإنما عاد الضمير على الجنس قال ابن جرير وهذا كقولهم عندي ثوب ونصفه أي ونصف ثوب آخر ، وروى من طريق العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (وما يسر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير) يقول ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك له فأما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت لا يزداد عليه ، وليس أحد قدرت له أنه قصير العمر والحياة يبلغ العمر ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي كتبت له فذلك قوله تعالى (ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير) يقول كل ذلك في كتاب عنده وهكذا قال الضحاك بن مزاحم ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه (ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) قال ما لفظت الأرحام من الأولاد من غير تمام ، وقال عبد الرحمن في تفسيرها ألا ترى الناس يعيش الإنسان مائة سنة وآخر يموت حين يولد فهذا هذا ، وقال قتادة: والذي ينقص من عمره فالذي يموت قبل ستين سنة ، وقال مجاهد (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) أي في بطن أمه يكتب له ذلك لم يخلق الخلق على عمر واحد بل لهذا عمر ولهذا عمر هو أنقص من عمره فكل ذلك مكتوب لصاحبه بالغ ما بلغ ، وقال بعضهم بل معناه (وما يعمر من معمر) أي ما يكتب من الأجل (ولا ينقص من عمره) وهو ذهابه قليلا قليلا لجميع معلوم عند الله تعالى سنة بعد سنة وشهرا بعد شهر ، وجمعة بعد جمعة ، ويوما بعد يوم ، وساعة بعد ساعة لجميع مكتوب عند الله تعالى في كتابه . نقله ابن جرير عن أبي مالك وإليه ذهب السدي وعطاء الخراساني ، واختاره ابن جرير الأول وهو كما قال ، وقال النسائي عند تفسير هذه الآية الكريمة حدثنا أحمد بن يحيى بن أبي زيد بن سليمان قال سمعت ابن وهب يقول حدثني يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه » وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود من حديث يونس بن يزيد الإيلي به وقال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا الوليد بن الوليد بن عبد الملك بن عبيد الله أبو سرح حدثنا عثمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله عن عمه أبي مسعدة بن ربيعي عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ فقال « إن الله تعالى لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها ، وإنما زيادة العمر بالدرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر » وقوله عز وجل (إن ذلك على الله يسير) أي سهل عليه يسير له يسهله بذلك وتفصيله في جميع مخلوقاته فان علمه شامل للجميع لا يخفى عليه شيء منها

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٍ سَائِفٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مَلْحٌ أجاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لَتَبْتَفْتُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى منها على قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة خلق البحرين العذب الزلال وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس من كبار وصغار بحسب الحاجة إليها في الأقاليم والأمصار ، والعمران والبرارى والقفار ، وهى عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك (وهذا ملح أجاج) أى مر وهو البحر الساكن الذى تسير فيه السفن الكبار ، وإنما تكون مالحة زعاقا مرة ولهذا قال (وهذا ملح أجاج) أى مر ثم قال تعالى (ومن كل تأكلون لحما طريا) يعنى السمك (وتستخرجون حلية تلبسونها) كما قال عز وجل (يخرج منها اللؤلؤ والمرجان * فبأى آلاء ربك أنكدبان) وقوله جل

وعلا (وترى الفلك فيه مواخر) أى تمخره وتشقه بحيزومها وهو مقدمها المسنن الذى يشبه جوجو الطير وهو صدره ، وقال مجاهد تمخر الريح السفن ولا يخر الريح من السفن إلا العظام ، وقوله جل وعلا (لتبتنوا من فضله) أى بأسفاركم بالتجارة من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم (ولعلكم تشكرون) أى تشكرون ربكم على تسخيركم لهذا الخلق العظيم وهو البحر تتصرفون فيه كيف شئتم وتذهبون أين أردتم ولا يمتنع عليكم شئ منه ، بل بقدرته قد سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض الجميع من فضله ورحمته .

﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

وهذا أيضاً من قدرته التامة وسلطانه العظيم فى تسخير الليل بظلامه والنهار بضائه ويأخذ من طول هذا فيزيده فى قصر هذا فيعتدلان ، ثم يأخذ من هذا فى هذا فيطول هذا ويقصر هذا ثم يتقارضان صيفاً وشتاءً (وسخر الشمس والقمر) أى والنجوم السيارات ، والثوابث الثاقبات ، بأضوائهن أجرام السموات ، الجميع يسرون بمقدار مهين . وعلى منهاج مقنن محرر ، تقديرأ من عزيز عليم (كل يجرى لأجل مسمى) أى إلى يوم القيامة (ذلكم الله ربكم) أى الذى فعل هذا هو الرب العظيم الذى لا إله غيره (والذين تدعون من دونه) أى من الأصنام والأنداد التى هى على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين (ما يملكون من قطمير) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء وعطية العوفى والحسن وقتادة وغيرهم : القطمير هو اللفافة التى تكون على نواة التمرة أى لا يملكون من السموات والأرض شيئاً ولا بمقدار هذا القطمير ثم قال تعالى (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) يعنى الآلهة التى تدعونها من دون الله لا تسمع دعاءكم لأنها حجاد لا أرواح فيها (ولو سمعوا ما استجابوا لكم) أى لا يقدرون على شئ مما تطلبون منها (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أى يبرءون منكم كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً) وقوله تعالى (ولا ينبتك مثل خبير) أى ولا يخبرك بعواقب الأمور وما لها وما تصير إليه مثل خبير بها قال قتادة يعنى نفسه تبارك وتعالى فإنه أخبر بالواقع لا بحالة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ * وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا تَرْجُوا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾

يخبر تعالى ببنائه هما سواء وبافتقار الخلقات كلها إليه وتعلها بين يديه فقال تعالى (يا أيها الناس أتمم الفقراء إلى الله) أى هم محتاجون إليه فى جميع الحركات والسكنات وهو تعالى الغنى عنهم بالذات ولهذا قال عز وجل (والله هو الغنى الحميد) أى هو المنفرد بالثنى وحده لا شريك له وهو الحميد فى جميع ما يفضله ويقوله ويقدره ويشعره ، وقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أى لو شاء لأذهبكم أيها الناس وأتى بقوم غيركم وما هذا عليه بصعب ولا يمتنع ولهذا قال تعالى (وما ذلك على الله بعزيز) . وقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى يوم القيامة (وإن تدع مثقلة إلى حملها) أى وإن تدع نفس مثقلة بأوزانها إلى أن تساعد على حمل ما عليها من الأوزار أو بعضه

(لا يعمل منه شيء ولو كان ذا قربى) أى وإن كان قريبا إليها حتى ولو كان أبها أو ابنها ، كل مشغول بنفسه وحاله ، قال عكرمة فى قوله تعالى (وإن تدع مثقلة إلى حملها) الآية قال هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول يا رب سل هذا لم كان يلقى بابه دونى ، وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول له يا مؤمن إن لى عندك يدا قد عرفت كيف كنت لك فى الدنيا وقد احتجت إليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه حتى يرده إلى منزل دون منزله وهو فى النار ، وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول يا بنى أى والد كنت لك فيئنى خيرا فيقول له يا بنى إنى قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجوبها مما ترى فيقول له ولده يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكنى أنخوف مثل ما تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئا ، ثم يتعلق بزوجه فيقول يا فلانة أو يا هسنه أى زوج كنت لك فتئنى خيرا فيقول لها إنى أطلب إليك حسنة واحدة تهيبها لى لعل أنجوبها مما ترى ، قال فتقول ما أيسر ما طلبت ولكنى لا أطيق أن أعطيك شيئا إنى أنخوف مثل الذى تتخوف ، يقول الله تعالى (وإن تدع مثقلة إلى حملها) الآية ، ويقول تبارك وتعالى (لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) ويقول تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) رواه ابن أبى حاتم رحمه الله عن أبى عبد الله الزهرانى عن حفص ابن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة به ، ثم قال تبارك وتعالى (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة) أى إنما يتعظ بما جثت به أولو البصائر والنهى الخائفون من ربهم الفاعلون ما أمرهم به (ومن تركى فإنما يتركى لنفسه) أى ومن عمل صالحا فإنما يعود نفسه على نفسه (وإلى الصير) أى وإلى الرجوع والمآب وهو سريع الحساب وسيجزى كل عامل بعمله إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظُّلُّ وَلَا الخُرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ * إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا * وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ * وَإِن يَكذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ * ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾

يقول تعالى كما لا تستوى هذه الأشياء للتباينة المختلفة كالأعمى والبصير لا يستويان بل بينهما فرق وبون كثير وكما لا تستوى الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور كذلك لا تستوى الأحياء ولا الأموات وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء وللكافرين وهم الأموات كقوله تعالى (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) وقال عز وجل (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا ؟ فالؤمن بصير سميع فى نور يمشى على صراط مستقيم فى الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال فى الجنات ذات الظلال والعيون والكافر أعمى وأصم فى ظلمات يمشى لا خروج له منها ، بل هويته فى غيه وضلاله فى الدنيا والآخرة حتى يفضى به ذلك إلى الحرور والسوم والحميم ، وظل من محموم لا بارد ولا كريم

وقوله تعالى (إن الله يسمع من يشاء) أى يهديهم إلى مماع الحجة وقبولها والالتقادها (وما أنت بمسمع من فى القبور) أى كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم وهم كفار بالهداية والدعوة إليها كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم ولا تستطيع هدايتهم (إن أنت إلا نذير) أى إنما عليك البلاغ والانذار والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) أى بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) أى وما من أمة خلت من بنى آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر وأزاح عنهم الغل كما قال تعالى (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) وكما قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا

الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) الآية والآيات . في هذا كثيرة . وقوله تبارك وتعالى (وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسالهم بالبينات) وهي المعجزات الباهرات والأدلة القاطعات (وبالزبر) وهي الكتب (وبالكتاب النير) أى الواضح البين (ثم أخذت الذين كفروا) أى ومع هذا كله كذب أولئك رسالهم فيما جاءوهم به فأخذتهم أى بالعقاب والنكال (فكيف كان نكير) أى فكيف رأيت إنكارى عليهم عظيما شديدا بليغا والله أعلم

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

يقول تعالى منبها على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد وهو الماء الذى ينزله من السماء يخرج به ثمرات مختلفا ألوانها من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض إلى غير ذلك من ألوان الثمار كما هو المشاهد من تنوع ألوانها وطومها وروائحها كما قال تعالى في الآية الأخرى (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد وفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) وقوله تبارك وتعالى (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها) أى وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان كما هو المشاهد أيضا من بيض وحمر ، وفى بعضها طرائق وهى الجدد جمع جدة مختلفة الألوان أيضا . قال ابن عباس رضى الله عنهما : الجدد الطرائق ، وكذا قال أبو مالك والحسن وقتادة والسدى ومنها غرابيب سود قال عكرمة : الغرابيب الجبال الطوال السود ، وكذا قال أبو مالك وعطاء الحرساني وقتادة ، وقال ابن جرير والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد قالوا أسود غريب ولهذا قال بعض المفسرين فى هذه الآية هذا من المقدم والمؤخر فى قوله تعالى (وغرابيب سود) أى سود غريب وفيما قاله نظر وقوله تعالى (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك) أى كذلك الحيوانات من الأناس والدواب وهو كل مادب على القوائم ، والأنعام من باب عطف الخاص على العام كذلك هى مختلفة أيضا فالناس منهم بربر وحوش وطماطم فى غاية السواد ومقابلة وروم فى غاية البياض ، والعرب بين ذلك والمنود دون ذلك ، ولهذا قال تعالى فى الآية الأخرى (واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين) وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان حتى فى الجنس الواحد بل النوع الواحد منهم مختلف الألوان بل الحيوان الواحد يكون أبلق فيه من هذا اللون وهذا اللون فتبارك الله أحسن الخالقين . وقد قال الحافظ أبو بكر البرزاز فى مسنده حدثنا الفضل بن سهل حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا زياد بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال . جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أيا يصبغ ربك قال قال **صلى الله عليه وسلم** « نعم صبغا لا ينفص أحمر وأصفر وأبيض » وروى مرسلًا وموقوفاً والله أعلم . ولهذا قال تعالى بعد هذا (إنما يخشى الله من عباده العلماء) أى إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم التقدير للعلم الوصوف بصفات الكمال للنموت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر

قال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) قال الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير . وقال ابن لهيعة عن ابن أبى عمرة عن عكرمة عن ابن عباس قال العالم بالرحمن من عباده من لم يشرك شيئًا ، وأحل حلاله وحرم حرامه وحفظ وصيته وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بمعله ، وقال سعيد بن جبير الخشية هى التى تحول بينك وبين معصية الله عزوجل ، وقال الحسن البصرى : العالم من خشى الرحمن بالتب والطلب فيما رغب الله

فيه وزهد فيما سخط الله فيه ثم تلا الحسن (إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور) وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية . وقال أحمد بن صالح المصرى عن ابن وهب عن مالك قال : إن العلم ليس بكثرة الرواية وإنما العلم نور يجعله الله فى القلب . قال أحمد بن صالح المصرى معناه أن الخشية لا تترك بكثرة الرواية وإنما العلم الذى فرض الله عزوجل أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم من أئمة المسلمين فهذا لا يدرك إلا بالرواية ويكون تأويل قوله : نور يريد به فهم العلم ومعرفة معانيه . وقال سفيان الثورى عن أبي حيان التميمى عن رجل قال : كان يقال العلماء ثلاثة عالم بالله عالم بأمر الله ، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله . وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله ، فالعالم بالله وبأمر الله الذى يخشى الله تعالى ويعلم الحدود والفرائض ، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله الذى يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض ، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذى يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله عز وجل

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُؤْتِيَهُمُ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه من إقام الصلاة والافتقار مما رزقهم الله تعالى فى الأوقات المشروعة ليلا ونهارا سرا وعلانية (يرجون تجارة لن تبور) أى يرجون ثوبا عند الله لا بدمن حصوله ، كما قدمنا فى أول التفسير عند فضائل القرآن أنه يقول لصاحبه إن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة ولهذا قال تعالى (ليؤتيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) أى ليؤتيهم ثواب ما عملوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم (إنه غفور) أى لذنوبهم (شكور) للقليل من أعمالهم قال قتادة كان مطرف رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول هذه آية القراء . قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنا سالم بن غيلان قال : إنه سمع دراجا أبا السمع يحدث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : إنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إن الله تعالى إذا رضى عن العبد أثنى عليه بسبعة أصناف من الخير لم يعملهم وإذا سخط على العبد أثنى عليه بسبعة أصناف من الشر لم يعملهم » غريب جدا

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

يقول تعالى (والذى أوحينا إليك) يا محمد من الكتاب وهو القرآن (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أى من الكتب المتقدمة يصدقها كما شهدت هى له بالتنويه وأنه منزل من رب العالمين (إن الله عباده لخير بصير) أى هو خير بهم بصير من يستحق ما يفضله به على من سواه ، ولهذا فضل الأنبياء والرسل على جميع البشر وفضل النبيين بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وجعل منزلة محمد ﷺ فوق جميع صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾

يقول تعالى ثم جعلنا القامنين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الأمة ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال تعالى (فمنهم ظالم لنفسه) وهو للفرط فى فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات (ومنهم مقتصد) وهو المؤدى للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويعمل بعض المكروهات (ومنهم سابق بالخيرات إذن الله) وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات

وبعض المباحات - قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) قال هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله فظالمهم يفر له ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا ، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح وعبد الرحمن بن معاوية العتيبي قالا حدثنا أبو الطاهر بن السرح حدثنا موسى بن عبد الرحمن الصنعاني حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذات يوم « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » قال ابن عباس رضى الله عنهما السابق بالحيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله ، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ وكذا روى عن غير واحد من السلف أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين على ما فيه من عوج وتقصير . وقال آخرون بل الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة ولا من المصطفين الوارثين للكتاب قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس رضى الله عنهما فمنهم ظالم لنفسه قال هو الكافر وكذا روى عنه عكرمة وبه قال عكرمة أيضا فيأرواه ابن جرير ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه) قال هم أصحاب المشأمة ، وقال مالك عن زيد بن أسلم والحسن وقتادة هو المنافق ثم قد قال ابن عباس والحسن وقتادة وهذه الأقسام الثلاثة كالأقسام الثلاثة المذكورة في أول سورة الواقعة وآخرها ، والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة وهذا اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضا ونحن إن شاء الله تعالى نورد منها ما تيسر

﴿ الحديث الأول ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الوليد بن العيزار أنه سمع رجلا من ثقيف يحدث عن رجل من كنانة عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : في هذه الآية (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالحيرات يأذن الله) قال « هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة » هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي إسناده من لم يسم وقدرناه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شعبة به نحوه ومعنى قوله بمنزلة واحدة أى في أنهم من هذه الأمة وأنهم من أهل الجنة وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة ﴿ الحديث الثانى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا أنس بن عياض الليثي أبو حمزة عن موسى بن عقبة عن علي بن عبد الله الأزدي عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالحيرات يأذن الله) فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحسبون في طول الحشر ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور * الذى أحلنا دار القامة من فضله لا يمسننا فيها نصب ولا يمسننا فيها لغوب) » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أسيد بن عاصم ثنا الحسين ابن حفص حدثنا سفيان عن الأعمش عن رجل عن أبي ثابت عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه - قال - فأما الظالم لنفسه فيحسب حتى يصيبه الهم والحزن ثم يدخل الجنة » ورواه ابن جرير من حديث سفيان الثوري عن الأعمش قال ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد فجلس إلى جنب أبي الدرداء رضى الله عنه فقال اللهم آنس وحشتي وارحم غربتى ويسرلى جليسا صالحا فقال أبو الدرداء رضى الله عنه لئن كنت صادقا لأنا أسعد بك منك سأحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحدث به منذ سمعته منه ذكر هذه الآية (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالحيرات) فأما السابق بالحيرات فيدخلها بغير حساب ، وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا . وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من النعم والحزن وذلك قوله تعالى (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن)

﴿ الحديث الثالث ﴾ قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس حدثنا ابن مسعود أخبرنا سهل

ابن عبد ربه الرازي حدثنا عمرو بن قيس عن ابن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) الآية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلهم من هذه الأمة » (الحديث الرابع) قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عزيز حدثنا سلامة عن غزيل عن ابن شهاب عن عوف بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أمي ثلاثة أثلاث فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة وثلث يحصون ويكشفون ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون لا إله إلا الله وحده يقول الله تعالى صدقوا لا إله إلا أنا أدخلوهم الجنة بقولهم لا إله إلا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل النار وهى التى قال الله تعالى (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) وتصديقها فى التى فيها ذكر الملائكة قال الله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) فجعلهم ثلاثة أفواج وهم أصناف كلهم فمنهم ظالم لنفسه فهذا الذى يحصى ويكشف « غريب جدا » (أثر عن ابن مسعود) رضى الله عنه قال ابن جرير حدثني ابن حميد حدثنا الحكم بن بشير عن عمرو بن قيس عن عبد الله بن عيسى رضى الله عنه عن يزيد بن الحارث عن شقيق أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : إن هذه الأمة ثلاث أثلاث يوم القيامة ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول الله عز وجل ما هؤلاء ؟ وهو أعلم تبارك وتعالى فتقول الملائكة هؤلاء جاءوا بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا بك شيئا فيقول الرب عز وجل أدخلوا هؤلاء فى سعة رحمتى . وتلا عبد الله رضى الله عنه هذه الآية (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية (أثر آخر) قال أبو داود الطيالسي عن الصلت بن دينار بن الأشعث عن عقبه بن صهبان الهنائي قال سألت عائشة رضى الله عنها عن قول الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الآية فقالت لى يابنى هؤلاء فى الجنة أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحياة والرزق وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به ، وأما الظالم لنفسه فمثلكم قال فجعلت نفسها رضى الله عنها معنا وهذا منها رضى الله عنها من باب المضم والتواضع وإلا فهى من أكبر السابقين بالخيرات لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فى قوله تبارك وتعالى فمنهم ظالم لنفسه قاله لى لأهل بدونا ومقتصدنا أهل حضرنا وسابقنا أهل الجهاد رواه ابن أبي حاتم وقال عوف الأعرابي حدثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل قال حدثنا كعب الأحبار رحمه الله عليه قال إن الظالم لنفسه من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم فى الجنة ، ألم تر أن الله تعالى قال (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) جنات عدن يدخلونها - إلى قوله عز وجل - والذين كفروا لهم نار جهنم) قال فهؤلاء أهل النار رواه ابن جرير من طرق عن عوف به . ثم قال حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا حميد عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث عن أبيه قال إن ابن عباس رضى الله عنهما سألا كعباً عن قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا - إلى قوله - بإذن الله) قال تماسنا منا كعبهم ورب كعب ثم أعطوا الفضل بأعمالهم ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم بن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن أبي إسحاق السبيعي فى هذه الآية (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية قال أبو إسحاق أما ما سمعت من ذى ستين سنة فكلمهم ناج ، ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم حدثنا عمرو بن محمد بن الحنفية رضى الله عنه قال إنها أمة مرحومة الظالم مغفور له والمقتصد فى الجنان عند الله والسابق بالخيرات فى المدرجات عنده . ورواه الثورى عن إسماعيل بن ميمع عن رجل عن محمد بن الحنفية رضى الله عنه بنحوه . وقال أبو الجارود : سألت محمد بن على - يعنى البار - رضى الله عنهما عن قول الله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه) فقال هو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئاً . فهذا ما تيسر من إيراد الأحاديث والآثار المتعلقة بهذا المقام . وإذا تقرر هذا فإن الآية عامة فى جميع الأقسام الثلاثة فى هذه الأمة فالعلماء أعبط الناس بهذه النعمة وأولى الناس

بهذه الرحمة فانهم كما قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا محمد بن يزيد حدثنا عاصم بن رجاه بن حيوة عن قيس بن كثير قال قدم رجل من أهل المدينة إلى أبي الدرداء رضى الله عنه وهو بدمشق فقال ما أقدمك أى أخى؟ قال حديث بلغنى أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ ، قال أما قدمت لتجارة؟ قال لا ، قال أما قدمت لحاجة قال لا ؟ قال أما قدمت إلا فى طلب هذا الحديث؟ قال نعم . قال رضى الله عنه فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من سلك طريقاً يطلب فيها علماً سلك الله تعالى به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا الطالب العلم وإنه ليستغفر للعالم من فى السموات والأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب . إن العلماء هم ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر » وأخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث كثير بن قيس ومنهم من يقول قيس بن كثير عن أبي الدرداء رضى الله عنه ، وقد ذكرنا طرقه واختلاف الرواة فيه فى شرح كتاب العلم من صحيح البخارى والله الحمد والمنة وقد تقدم فى أول سورة طه حديث ثعلبة بن الحكم رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء إني لم أضع علمى وحكمتى فيكم إلا وأنا أريد أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي »

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾

يخبر تعالى أن هؤلاء الصّافين من عباده الذين أورثوا الكتاب النزل من رب العالمين يوم القيامة ما وهم جنات عدن أى جنات الاقامة يدخلونها يوم معادهم وقدمهم على الله عز وجل (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا) كما ثبت فى الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » (ولباسهم فيها حرير) ولهذا كان محظورا عليهم فى الدنيا فأباحه الله تعالى لهم فى الآخرة ، وثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » وقال « هى لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة »

وقال ابن أبى حاتم حدثنا عمرو بن سواد السرحى أخبرنا ابن وهب عن ابن لبيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة رضى الله عنه قال إن أبا أمامة رضى الله عنه حدث أن رسول الله ﷺ حدثهم وذكر حلى أهل الجنة فقال « مسورون بالذهب والفضة مكللة بالدر وعليهم أكاليل من در ويقوت متواصلة وعليهم تاج كتاج الملوك شباب جرد مرد مكحولون » (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) وهو الخوف من المهدور أراحه عنا وأراحنا مما كنا نتخوفه ونخدره من هموم الدنيا والآخرة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم وكأنى بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن » رواه ابن أبى حاتم من حديثه وقال الطبرانى حدثنا جعفر بن محمد الفريابى حدثنا موسى بن يحيى المروزى حدثنا سليمان بن عبد الله بن وهب الكوفى عن عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى الموت ولا فى القبور ولا فى النشور وكأنى أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور » قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره : غفر لهم الكثير من السيئات وشكر لهم اليسير من الحسنات (الذى أحلنا دار المقامة من فضله) يقولون

الذي أعطانا هذه المنزلة وهذا المقام من فضله ومنه ورحمته لم تكن أعمالنا تساوى ذلك كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «لن يدخل أحدكم عمله الجنة» قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله تعالى برحمته منه وفضل» (لا يمسنها فيها نصب ولا يمسنها لغوب) أي لا يمسنها فيها عناء ولا إعياء. والنصب واللغوب كل منهما يستعمل في التعب وكان المراد بنبي هذا وهذا عنهم أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم والله أعلم، فمن ذلك أنهم كانوا يدبسون أنفسهم في العبادة في الدنيا فسقط عنهم التكليف بدخولها وصاروا في راحة دائمة مستمرة قال الله تبارك وتعالى (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية)

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ * وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ * فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾

لما ذكر تبارك وتعالى حال السعداء شرع في بيان ما للأشقياء فقال (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) كما قال تعالى (لا يموت فيها ولا يحيى) وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون» وقال عز وجل (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ما تكونون) فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم ولكن لا سبيل إلى ذلك قال الله تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) كما قال عز وجل (إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون) وقال جل وعلا (كلما خبت زدتهم سعيراً) (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً) ثم قال تعالى (كذلك نجزي كل كفور) أي هذا جزاء كل من كفر بربه وكذب الحق وقوله جلوت عظمته (وهم يصطرخون فيها) أي ينادون فيها يجأرون إلى الله عز وجل بأصواتهم (ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل) أي يسألون الرجعة إلى الدنيا ليعملوا غير عملهم الأول، وقد علم الرب جل جلاله أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون فلماذا لا يجيبهم إلى سؤالهم كما قال تعالى مخبراً عنهم في قولهم (فهل إلى مرد من سبيل؟ * ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا) أي لا يجيبكم إلى ذلك لأنكم كنتم كذلك ولوردتم لعذبتهم إلى ما نهيتهم عنه ولذا قال ههنا (أولم نعمركم ما يتذکر فيه من تذکر وجاءکم النذیر؟) أي أو ما عشتم في الدنيا أعماراً لو كنتم ممن ينتفع بالحق لاتنفعتم به في مدة عمرکم؟ وقد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد ههنا فروى عن علي بن الحسين زين العابدين رضی الله عنهما أنه قال مقدار سبع عشرة سنة. وقال قتادة: اعلموا أن طول العمر حجة فنعوذ بالله أن نعير بطول العمر قد نزلت هذه الآية (أولم نعمركم ما يتذکر فيه من تذکر) وإن فهم لابن ثمانی عشرة سنة وكذا قال أبو غالب الشيباني. وقال عبد الله بن المبارك عن معمر عن رجل عن وهب بن منبه في قوله تعالى (أولم نعمركم ما يتذکر فيه من تذکر) قال عشرين سنة. وقال هشيم عن منصور عن زاذان عن الحسن في قوله تعالى (أولم نعمركم ما يتذکر فيه من تذکر) قال أربعين سنة، وقال هشيم أيضاً عن مجاهد عن الشعبي عن مسروق أنه كان يقول: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله عز وجل وهذه رواية عن ابن عباس رضی الله عنهما فيقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا بشر بن المفضل حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد قال سمعت ابن عباس رضی الله عنهما يقول: العمر الذي أعذر الله تعالى لابن آدم (أولم نعمركم ما يتذکر فيه من تذکر) أربعون سنة. هكذا رواه من هذا الوجه عن ابن عباس رضی الله عنهما به وهذا القول هو اختيار ابن جرير ثم رواه من طريق الثوري وعبد الله بن إدريس كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد عن ابن عباس رضی الله عنهما قال العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم في قوله (أولم نعمركم ما يتذکر فيه من تذکر) ستون سنة فهذه الرواية أصح عن ابن عباس رضی الله عنهما وهي الصحيحة في نفس الأمر أيضاً لما ثبت

في ذلك من الحديث كما سنورده لا كما زعمه ابن جرير من أن الحديث لم يصح في ذلك لأن في إسناده من يجب التثبت في أمره ، وقد روى أصبغ بن نباتة عن علي رضي الله عنه أنه قال : العمر الذي غيرهم الله به في قوله (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) . ستون سنة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حميد بن عبد الله بن أبي فديك حدثني إبراهيم بن الفضل الخزومي عن ابن أبي حسين المكي أنه حدثه عن عطاء هو ابن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال « إذا كان يوم القيامة قيل أن أبناء الستين وهو العمر الذي قال الله تعالى فيه (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) » وكذا رواه ابن جرير عن علي بن شعيب عن إسماعيل بن أبي فديك به وكذا رواه الطبراني من طريق ابن أبي فديك به ، وهذا الحديث فيه نظر لحال إبراهيم بن الفضل والله أعلم **(حديث آخر)** قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن رجل من بني غفار عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « لقد أعذر الله تعالى إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة لقد أعذر الله تعالى إليه لقد أعذر الله تعالى إليه » وهكذا رواه الإمام البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه حدثنا عبد السلام بن مطهر عن عمر بن علي عن معمر بن محمد الغفاري عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعذر الله عز وجل إلى امرئ أخر عمره حتى بلغ ستين سنة » ثم قال البخاري تابعه أبو حازم وابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فأما أبو حازم فقال ابن جرير حدثنا أبو صالح الفزاري حدثنا محمد بن سوار أخبرنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القادر أي الاسكندر حدثنا أبو حازم عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عمره الله تعالى ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر » وقد رواه الإمام أحمد والنسائي في الرقاق جميعاً عن قتيبة عن يعقوب بن عبد الرحمن به ، ورواه البزار قال : حدثنا هشام بن يوسف حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « العمر الذي أعذر الله تعالى فيه إلى ابن آدم ستون سنة » يعني (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) وأما متابعة ابن عجلان فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو السفر يحيى بن محمد ابن عبد الملك بن قرعة بسامرا حدثنا أبو عبد الرحمن القري حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثنا محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله عز وجل إليه في العمر » وكذا رواه الإمام أحمد عن أبي عبد الرحمن هو القري به ورواه أحمد أيضاً عن خلف عن أبي معشر عن أبي سعيد المقبري . **(طريق أخرى)** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ابن جرير حدثني أحمد بن الفرج أبو عتبة الحمصي حدثنا بقية بن الوليد حدثنا اللطيف بن مازن الكنانى حدثني معمر بن راشد قال : سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفاري يقول : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ « لقد أعذر الله عز وجل في العمر إلى صاحب الستين سنة والسبعين » فقد صح هذا الحديث من هذه الطرق فلو لم يكن إلا الطريق التي ارتضاها أبو عبد الله البخاري شيخ هذه الصناعة لكفت . وقول ابن جرير إن في رجاله بعض من يجب التثبت في أمره لا يلتفت إليه مع تصحيح البخاري والله أعلم . وذكر بعضهم أن العمر الطبيعي عند الأطباء مائة وعشرون سنة فالإنسان لا يزال في ازدياد إلى كمال الستين ثم يشرع بدهنها في النقص والحرم كما قال الشاعر :

إذا بلغ الفتي ستين عاماً فقد ذهب للسرة والفتاء

ولما كان هذا هو العمر الذي يعمر الله تعالى إلى عباده به ويزجج به عنهم الملل كان هو الغالب على أعمار هذا الأمة كما ورد بذلك الحديث ، قال الحسن بن عرفة رحمه الله حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحارثي حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعمار أممي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعاً في كتاب الزهد عن الحسن بن عرفة به ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا يعرفه إلا من هذا الوجه . وهذا عجب من الترمذي فإنه قد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا من وجه

آخر وطريق أخرى عن أبي هريرة حيث قال حدثنا سليمان بن عمرو عن محمد بن ربيعة عن كامل أبي العلاء عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم « أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك » وقد رواه الترمذى فى كتاب الزهد أيضاً عن إبراهيم بن سعيد الجوهري عن محمد بن ربيعة به ثم قال هذا حديث حسن غريب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه وقد روى من غير وجه عنه هذا نصه بحروفه فى الموضوعين والله أعلم . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو موسى الأنصارى حدثنا ابن أبي فديك حدثنى إبراهيم ابن الفضل مولى بنى مخزوم عن القبرى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « معترك النيا ما بين الستين إلى السبعين » وبه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقل أمتي أبناء سبعين » إسناده ضعيف (حديث آخر) فى معنى ذلك قال الحافظ أبو بكر البرزالي فى مسنده حدثنا إبراهيم بن هانى حدثنا إبراهيم بن مهدي عن عثمان ابن مطر عن أبي مالك عن ربهى عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال يارسول الله أنبتنا بأعمار أمتك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بين الخمسين إلى الستين » قالوا يارسول الله فأبناء السبعين قال صلى الله عليه وسلم « قل من يبلغها من أمتي ، رحم الله أبناء السبعين ورحم الله أبناء الثمانين » ثم قال البرزالي يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد وعثمان بن مطر من أهل البصرة ليس بقوى ، وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش ثلاثاً وستين سنة وقيل ستين وقيل خمسا وستين ، والمشهور الأول والله أعلم . وقوله تعالى (وجاءكم النذير) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة وأبي جعفر الباقر رضى الله عنه وقتادة وسفيان بن عيينة أنهم قالوا يعنى الشيب وقال السدى وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم يعنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن زيد (هذا نذير من النذر الأولى) وهذا هو الصحيح عن قتادة فيما رواه شيبان عنه أنه قال : احتج عليهم بالمرسل والرسول وهذا اختيار ابن جرير وهو الأظهر لقوله تعالى (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ما تكونون * لقد جئناكم بالحق ولكن أكنتم كارهون) أى قد بينا لكم الحق على السنة المرسل فأبيتتم وخالفتهم ، وقال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تبارك وتعالى (كلما أتى فيها فوج سألتهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير * فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا فى ضلال كبير) وقوله تعالى (فذوقوا فالظالمين من نصير) أى فذوقوا عذاب النار جزاء على مخالفتكم للأنبياء فى مدة أعمالكم فالكم اليوم ناصر يقنكم بما أتم فيه من العذاب والنكال والأغلال

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * هُوَ الَّذِي جَمَعَكُمْ خَلَقَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾

خبر تعالى بعلمه غيب السموات والأرض وأنه يعلم ما تكنه السرائر وما تنطوى عليه الضمائر وسيجازى كل عامل بعمله . ثم قال عز وجل (هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض) أى يخلف قوم آخرين قبلهم وجيل لجيل قبلهم . كما قال تعالى (ويجعلكم خلفاء الأرض فمن كفر فعليه كفره) أى فأنما يمود وبال ذلك على نفسه دون غيره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقبلاً) أى كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله تعالى ، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهلبيهم يوم القيامة بخلاف المؤمنين فانهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ارتفعت درجته ومنزله فى الجنة وزاد أجره وأحب خالقه وبارئيه رب العالمين

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ لَهُنَّ بَنَاتٌ فَهَمَّ عَلَى بَيْتِ مَنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾

يقول تعالى لرسوله ﷺ أن يقول للمشركين (أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أى من الأصنام والأنداد (أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات) أى ليس لهم شيء من ذلك ما يملكون من قطير وقوله (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) أى أم أنزلنا عليهم كتابا بما يقولونه من الشرك والكفر؟ ليس الأمر كذلك (بل إن بعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا) أى بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانهم التي تمنوها لأنفسهم وهي غرور وباطل وزور ، ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما فقال (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) أى أن تضطربا عن أماكنهما كما قال عز وجل (وبمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) وقال تعالى (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) (ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) أى لا يقدر على دوامها وإبقائهما إلا هو وهو مع ذلك حلیم غفور أى يرى عباده وهم يكفرون به ويحسونه وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يعجل ويستتر آخرين ويفر ولهذا قال تعالى (إنه كان حلما غفورا) وقد أورد ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا بل منكرا فقال حدثنا طي بن الحسين بن الجنيد حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثني هشام بن يوسف عن أمية بن سهل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن موسى عليه الصلاة والسلام على النبر قال : وقع في نفس موسى عليه الصلاة والسلام هل ينام الله عز وجل فأرسل الله تعالى إليه ملكا فأرقه ثلاثا وأعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما قال فجعل ينسام وتكاد يداه تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس إحداهما عن الأخرى حتى نام نومه فاصطنقت يداه فانكسرت القارورتان ، قال ضرب الله له مثلا إن الله عز وجل لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض ، والظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع بل من الإسرائيليات المنكرة فان موسى عليه الصلاة والسلام أجل من أن يجوز على الله سبحانه وتعالى النوم وقد أخبر الله عز وجل في كتابه العزيز بأنه (الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض) وثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى لا ينام ولا يفتنى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجاب النور أو النار ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » وقد قال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل قال : جاء رجل إلى عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه فقال من أين جئت ؟ قال من الشام قال من لقيت ؟ قال لقيت كعبا قال ما حدثك ، قال حدثني أن السموات تدور على منكب ملك ، قال أفصدته أو كذبت ؟ قال ما صدقته ولا كذبتة قال لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحتك ورحلتها كذب كعب إن الله تعالى يقول (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعد) وهذا إسناد صحيح إلى كعب وإلى ابن مسعود رضى الله عنه ثم رواه ابن جرير عن ابن حميد عن جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال ذهب جنذب الجلى إلى كعب بالشام فذكر نحوه . وقد رأيت في مصنف الفقيه يحيى بن إبراهيم بن مزين الطليطلى سماه - سير الفقهاء - أورد هذا الأثر عن محمد بن عيسى بن الطباع عن وكيع عن الأعمش به ، ثم قال وأخبرنا زونان يعنى عبد الملك بن الحسين عن ابن وهب عن مالك أنه قال السماء لا تدور واحتج بهذه الآية وبحديث « إن بالمغرب بابا للتوبة لا يزال مفتوحا حتى تطلع الشمس منه » قلت وهذا الحديث في الصحيح والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ الْإِحْدَىٰ ۚ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۚ اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السُّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السُّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولَىٰ ۚ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۚ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۚ ﴾

يخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم قبل إرسال الرسول إليهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأم أي من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل قاله الضحاك وغيره كقوله تعالى (أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفة من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لنأقنن * أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكننا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) وكقوله تعالى (وإن كانوا يقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكننا عباد الله المخلصين * فكفروا به فسوف يعلمون) قال الله تعالى (فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى الله عليه وسلم بما أنزل معه من الكتاب العظيم وهو القرآن المبين (ما زادهم إلا نفورا) أي ما ازدادوا إلا كفرهم إلى كفرهم ثم بين ذلك بقوله (استكبارا في الأرض) أي استكبروا عن اتباع آيات الله (ومكر السوء) أي ومكروا بالناس في صدهم إياهم عن سبيل الله (ولا يحيق المكر السوء إلا بأهله) أي وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم . قال ابن أبي حاتم ذكر على بن الحسين حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن أبي زكريا الكوفي عن رجل حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إياك ومكر السوء فإنه لا يحيق المكر السوء إلا بأهله ولهم من الله طالب » وقال محمد بن كعب القرظي : ثلاث من فعلهن لم ينسج حتى ينزل به من مكر أو بنى أو نكت وتصديقها في كتاب الله تعالى (ولا يحيق المكر السوء إلا بأهله) (إنما بيحك على أنفسكم) (ومن نكت فأنما ينكت على نفسه) وقوله عز وجل (فهل ينظرون إلا سنة الأولين) يعني عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسوله ومخالفتهم أمره (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي لا تغير ولا تبدل بل هي جارية كذلك في كل مكذب (ولن تجد لسنة الله تحويلا) أي (وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له) ولا يكشف ذلك عنهم ويحوله عنهم أحد والله أعلم

(**أولم يسئروا في الأرض فينظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليُعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليا قديرا * ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا**)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء الكذابين بما جنتهم به من الرسالة سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها فخلت منهم منازلهم وسلبوا ما كانوا فيه من النعم بعد كمال القوة وكثرة العدد والعدد ، وكثرة الأموال والأولاد فما أغنى ذلك شيئا ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك لأنه تعالى لا يعجزه شيء إذا أراد كونه في السموات والأرض (إنه كان عليا قديرا) أي علمهم بجميع الكائنات قدير على مجموعها ثم قال تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) أي لو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك جميع أهل السموات والأرض وما يملكونه من دواب وأرزاق . قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : كأد الجمل أن يعذب في جحره بذنوب ابن آدم ثم قرأ (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) وقال سعيد بن جبيرة والسدي في قوله تعالى (ما ترك على ظهرها من دابة) أي لما سقاه المطرفات جميع الدواب (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) أي ولكن ينظرهم إلى يوم القيامة فيحاسبهم يومئذ ويوفي كل عامل بعمله فيجازى بالثواب أهل الطاعة وبالعقاب أهل المعصية ولهذا قال تبارك وتعالى (فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا) آخر تفسر سورة فاطر والله الحمد والمنة .

(**تفسير سورة يس وهي مكة**)

قال أبو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة وسفيان بن وكيع حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي عن الحسن بن صالح عن هارون أبي محمد عن مقاتل بن حيان عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم